

في فضل محمد (ص)

للأستاذ محمد أحمد النمرأوى

قرأت بشئ من التعجب مقال الكاتب الإسلامي محمد عبد الله السمان في « المائى الحية في رسالة محمد » فإذا هو في صميمه مقال في شخصية الرسول (ص) وفي عظمته ، وإذا تحمسه لبعض النواحي العظمى للرسالة يحمله على إنكار بعض نواحي أدلة تلك الرسالة التي هي

كان صوته أندى ، وأزه أشمل وأعمق . وذلك هو أدب الحب يستأثر بالحظوة العززة في القصة وفي الشعر وفي غير ذلك من ألوان الأدب ، وهل كانت للحب تلك الحظوة إلا بأنه عاطفة إنسانية تلامس كل نفس ، وتطاول كل هوى ، وأنه بضعة أصيلة في الطبع الشرى ينجم عنه كثير من العواطف والتأثرات ، فهو دعوة مستجابة ونداء مسموع ، وهو عند الجمهور العام مكفول له القبول

والتعويل كل التعويل على منهج العالجة لأمثال هذا الموضوع الإنساني العام ، فقد يتناول موضوع الحب أديان أحدها غير فنان وآخر فنان أصيل . فأما غير الفنان فإنه يترك الموضوع في تصنع فيقلب الحقائق ويزور الواقعات ويحلب زائف المؤثرات ، ويفوته الهدى إلى بطائن القلب البشرى حين تتمثل فيه عاطفة الحب فإذا ما يخرج لنا صورة شوها ، لأنها صورة مكذوب بها على الحياة والأحياء . فأما الأديب الفنان فإنه يترك الموضوع عنه ، ولكن على بصيرة وهدى ، وفي أمانة وإخلاص ، فيخرج عمله صادق الوحي خالد الأثر .

القية في العدد القادم

محمود شيمور

أيضاً بعرض مظاهر عظمة الرسول ، في غلغ في التعبير جاني فيه ما لا أشك أنه يطلع من أدب الإسلام في الدعرة ، ثم هو بعد ذلك لا يصب حقيقة عظمة الرسول إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه متمدد نواحي العظمة ، والإسلام الذي هو رسالة الرسول متمدد نواحي الدعرة تمدد نواحي الفطرة التي هو دينها . وليس الناس سواء في تقدير تلك النواحي ، فمنهم الخواص الذين يكبرون ما أ كبر الأستاذ ، ومنهم العوام الذين يقصرون عن ذلك ولا يكبرون ما دعا إلى إكباره من تحرير الإسلام المقول والنفوس إلا عن طريق إيمانهم بتلك النواحي التي لم يأبه هو بها والتي نسي على خطباء المساجد والسرادات الإشادة بها في احتفالات ذكرى ميلاد الرسول ، وأكثر شهودها هم العوام الذين أمر الرسول صلوات الله عليه أن يخاطبوا على قدر عقولهم وإلا كان يخاطبهم فتنه عليهم

ولو غير الأستاذ السمان نسي على المسلمين ما يمتنون على الرسول صلى الله عليه وسلم بما أجرى الله على يديه من الخوارق قلنا غير مؤمن بالخوارق والمعجزات ، ولكن الأستاذ والحمد لله مؤمن بمجاهد يؤمن بالقرآن وبما أثبت للأنبيا من معجزات أكرمهم الله وأيدهم بها لم تكن لتثبت لهم في عصرنا هذا إلا بالقرآن . والقرآن نفسه أثبت لحمد صلوات الله عليه من المعجزات — إذا أغفلنا شرط التحدى فيها — ما شاء الله . أثبت له الإسراء في سورة الإسراء ، والمراج في سورة النجم ، وانشق القمر في سورة القمر ، إذا أخذنا الآيات على ظاهرها كما يفنى ولم نلجأ إلى التأويل تهرباً من إثبات إلا الأهل الذي لا بد منه من المعجزات ؛ فالتأويل لا يجوز إلا بقريئة حاملة ، والقريئة غير موجودة ، والحديث الشريف الصحيح يفسر تلك الآيات ويصف من تفصيلها ما أجل القرآن . فهل تلك المعجزات يا ترى ليست من مظاهر عظمة الرسول ؟ على ا

عليه؟ وأى الرسائل بلغت مبلغ الإسلام وحقت ماحقق الله، من تحرير العقول والنفوس في الماضي ولا يزال يدعو إلى تحريرها من كل سلطان غير سلطان الله سبحانه خالق الكون وقاتر الناس؟ وإذا كان الأستاذ يستشهد على من ظنهم خصومه من المسلمين بأن أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس أفلا يكون الرسول الذي أخرج الله على يديه تلك الأمة خير الرسل؟

إن محمدا صلى الله عليه وسلم جمع الله له ما فرق في الرسل. آتاه من المعجزات مثل الذي آتاهم، وخصه صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم معجزة خالدة لا تضارعه معجزة، وبتدين شهد الله له بما لم يشهد به لدين قبله. شهد له بالكمال حين أنزل عليه في الموقف في حجة الوداع «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً». وشهد له صلى الله عليه وسلم بما لم يشهد به سبحانه لنبي قبله من عموم الرسالة وعموم الرحمة به في قوله تعالى من سورة سبأ «وما أرسلناك إلا كلمة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون» وقوله تعالى من سورة الأنبياء «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». وأمثال الآيتين في القرآن الكريم كثير.

والرسالة نفسها ليست مما لمحمد فضل فيه فإنه لم يأت بشيء منها. والآيات التي استشهد بها الأستاذ من قول الله لا من قول محمد كما يعلم الأستاذ طبعا. فلو لم يشك الخاس عن التدقيق لما خفي عليه أن مبادئ الإسلام نفسه ليس لمحمد فضل فيها إذ لم تكن من عنده، وإذا كان هو مأمورا بالإيمان بها كغيره، وإذا عاش في قومه أربعين سنة قبل الرسالة لم يؤثر عنه أنه دعاهم فيها حتى إلى التوحيد، وإن أثر أنه لم يسجد لصنم وأنه كان قبل الرسالة من الموحدين. فالتناء الذي أثنى به بعض المستشرقين عليه أنه كان من عظماء الصالحين ثناء مدخول كان

فإن الله الذي لا يقدر على إجرائها غيره أجزاها تأييدا له أو تكريما. وفي كل تعظيم للرسول أى تعظيم والحديث الصحيح أثبت للرسول صلوات الله عليه خوارق كثيرة كمعجزات الأنبياء والرسل من قبله. منها حين الجذع الذي كان صلى الله عليه وسلم يحطب عنده قبل اتخاذ النبر. ومنها تكثير طعام جابر حتى أشبع جيش الخندق، وتكثير اللبن حتى أروى أهل الصفه من قدح استقله أبوهريرة لنفسه وللرسول، وتكثير الماء في الإناء حتى استقى منه جيش تيوك. ومنها رد عين أبي قتادة في غزوة أحد أو بدر، وإبراء عين على رضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين في غزوة خيبر. وما من هذه إلا قد شهدة الجلم النغير من الناس. فليت شعري لماذا تؤاخذ الوعاظ إذا ذكروا الناس بما أكرم الله به نبيهم من تلك المعجزات في ذكرى مولده الشريف؟ أو لماذا ينسى على الناس استعمارهم السرور والفخر بنبيهم الذي أكرمه الله تلك الكرامة وأنزله تلك المنزلة! لو أن أمثال الأستاذ السمان انتهزوا اهتزاز الناس ذلك وذكروهم بوجوب العمل بما أمهله ونسوه من رسالة الرسول لكان خيرا للناس وأعظم أجرا له ولأمثله. أما النسي على من يذكر الناس بتأحية من نواحي عظمة الرسول يرى هو غيرها أكبر منها، أو النسي عليهم إذا خرجوا من تلك الذكرى بمددون ما ذكروا به وازدادوا به إيمانا من تلك المعجزات، ففيه من التلو والإسراف وتنجير الواسع ما فيه

وأعجب من هذا وأوغل في الإسراف نعيه على «صنف» من المسلمين يفضلون محمدا على الرسل، ويحملونه إمامهم ويحملون رسالته فوق رسالاتهم والصلون كلهم ذلك العنف الذي زعم الأستاذ وسنهم الأستاذ السمان نفسه بما كتب في مقاله من التأحية التي يعظمها ويكبرها. وإلا فأى الرسل أصلح الله به ما أصلح بمحمد صلوات الله وسلامه

لا يفنى أن يتخضع به الأستاذ لأن مبشئه اعتقادهم أن القرآن من تأليفه وأن الإسلام من وضعه . وكل ثناء عليه صلى الله عليه وسلم بنير النبوة والرسالة هو في الواقع دون مقامه الكريم ولو كان ذلك الثناء أنه بطل الأبطال وأعظم المصلحين

إن حقيقة عظمته صلى الله عليه وسلم ليست في الرسالة نفسها ولكن في أنه أدى الرسالة على وجهها . فالرسالة من عند الله ليس لمحمد ولا لنبيه منها شيء ولا له في مبادئها فضل ، وإنما الفضل كله أنه أداها كما ينبغي أن تؤدي ، وتحمل في أدائها كل ما تحمل ، ونهض بأعبائها نهوضاً لم يكن لينهضه إلا من بلغ غاية كمال البشرية . وهذا هو ما يقصده الذين يقول الأستاذ أنهم يرفعون محمداً فوق مستوى البشر . وما مستوى البشر الذي يعرفه الأستاذ أو يمكن أن يعرفه في تاريخ البشرية إذا قيس بالمستوى الذي بلغه سيد البشر وخاتم الرسل محمد بن عبد الله ؟

إن أعجب العجب أن يقوم فرد بأعباء دين أعجز البشرية أن تحمله وتقوم بأعبائه إلا مجتمعة ! والترقى داخل حدود الإسلام ليس له نهاية ، لأن حدود الفطرة نفسها ، إذ هو دين الفطرة بل نفس الفطرة التي فطر الله عليها الناس ، بشهادته سبحانه في سورة الروم . وكل ما يمكن البشر أن يبلغه من الرقي في الفطرة قد حققه الله للبشرية في محمد ابن عبد الله رسول الإسلام الذي لا ينطق عن الهوى ، والذي صار كل عمل له سنة ، وكل قول له حجة لله على عباده ، لا عملاً أو قولاً لم يقره الله عليه في حوادث معدودة نطق بها التوآن وأحاطت بها سنة الرسول .

فكأنما أعد الله محمداً من بين البشر في تاريخ البشرية المتطور للقيام بأعباء دين الله الكامل ؛ تلك الأعباء التي تفرق القيام بها في الناس ، في الصالحين وأولى العزم من المسلمين حتى صار المتأسى به صلى الله عليه وسلم عن اجتهاد

وصدق في صفة من صفاته مثلاً يضرب في مكارم الأخلاق إلى اليوم كما ضرب المثل في أبي بكر وعمر وعلى ومن إليهم من الصحاب ومن تبعهم بإحسان . فالكمال البشري قد جمعه الله لمحمد الفرد كي يستطيع أن يقوم بدين الله دين الفطرة والبشرية الكاملة . أفلا يكون صلى الله عليه وسلم لذلك أكمل البشر على الإطلاق

هذه نتيجة منطقية ليس عنها محيص ، وليس فيها انتقاص لأحد من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فإله سبحانه قد فضل بعض رسوله على بعض كما أخبرنا سبحانه في آية تلك الرسل ؛ والحديث الذي ساقه الأستاذ الهان يشهد بذلك التفاضل . والأفضلية في صفة غير الأفضلية في مجموع الصفات . والنهي في الحديث الكريم عن التخيير بين الأنبياء موجه في الأصل إلى ذلك اليهودي لأنه هو الذي خير كما يتبين الأستاذ إذا رجع إلى الحديث . وجاء النهي عاماً للحكمة غير نهى السلم عن التعمب لأن السلم في الحديث لم يزد على أن أنكر أن يكون موسى أفضل من محمد . وما يوهمه الحديث خلاف ذلك ليس على إملائه ولكنه محدود بما ذكر في الحديث . والثناء على موسى صلوات الله عليه بصفة تميزها هو مثل في التواضع ضربه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته ليكون تشريماً في مثل حادثه وهو يؤيد ما ذهبنا ونذهب إليه مع جمهور المسلمين من أنه صلى الله عليه وسلم انتمى الأعلى للبشرية حققه الله للناس تاريخاً وأقماً . وانتمى الأعلى يقترب منه المجتهدون في بلوغه اقتراباً بطرد ما طرد اجتهادهم من غير أن يلائمونها اجتهادوا

وصلوات الله وسلامه على الرسول الكامل الذي حقق

الله به وفيه العطرة الإنسانية الكاملة محمد بن عبد الله

محمد أحمد الفهرماوي